سورة عَبَس

مكية في قول الجميع، وهي إحدى وأربعون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ۝٤﴾

فيه ستُّ مسائلَ:

الأولى: قوله تعالى: ﴿عَبَسَ﴾ أي: كَلَح بوَجْهِه؛ يقال: عَبَس وبَسَر. وقد تقدَّمَ[1]. ﴿وَتَوَلَّىٰٓ﴾ أي: أعرَضَ بوجهه ﴿أَن جَآءَهُ﴾ «أنْ» في موضع نصبٍ لأنه مفعولٌ له، المعنى: لأنْ جاءه الأعمى، أي: الذي لا يُبْصِرُ بعينيه. فروى أهلُ التفسيرِ أجمع: أنَّ قوماً من أشراف قريشٍ كانوا عند النبيِّ ﷺ وقد طمع في إسلامهم، فأقْبَل عبد الله ابنُ أمِّ مكتوم، فكره رسول الله ﷺ أن يَقطَع عبدُ الله عليه كلامه، فأعْرَضَ عنه، ففيه نزلت هذه الآية.

قال مالك: إنَّ هشام بنَ عُروة حدَّثه عن عروةَ أنه قال: نزلتْ ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾ في ابنِ أمِّ مكتوم، جاء إلى النبيِّ ﷺ فجعل يقول: يا محمد اسْتَدْنِني، وعند النبيِّ ﷺ رجلٌ من عظماء المشركين، فجعل النبيُّ ﷺ يُعرِضُ عنه ويُقبِلُ على الآخَرِ، ويقول: «يا فلان، هل ترى بما أقولُ بأساً؟» فيقول: لا والدُّمَى، ما أرى بما تقولُ بأساً، فأنزل الله ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾[2].

---

(١) ٢١/٣٧٨.

(٢) الموطأ ١/٢٠٣، وأحكام القرآن لابن العربي ٤/١٨٩٣. ووقع في الموطأ: لا والدِّماء، قال ابن الأثير في النهاية (دما): لا والدماء، أي: دماء الذبائح. ويروى: لا والدُّمَى، جمع دمية وهي الصورة، ويريد بها الأصنام.

وفي الترمذيِّ مُسنَداً قال: حدَّثنا سعيد بن يحيى بن سعيد الأُمَويُّ، حدَّثني أبي، قال: هذا ما عَرَضنا على هشام بنِ عُروةَ عن أبيه عن عائشة، قالت: نَزلَتْ ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾ في ابنِ أمِّ مكتومٍ الأعمى، أتى رسولَ الله ﷺ فجعل يقول: يا رسولَ الله أرشِدْني، وعندَ رسولِ الله ﷺ رجلٌ من عظماء المشركين، فجعل رسولُ الله ﷺ يُعرِضُ عنه، ويُقبِلُ على الآخَرِ، ويقول: «أترى بما أقولُ بأساً» فيقول: لا، ففي هذا نزلت. قال: هذا حديث غريب[١].

الثانية: الآيةُ عِتابٌ من الله لنبيِّه ﷺ في إعراضه وتَولِّيه عن عبد الله ابن أمِّ مكتومٍ. ويقال: عمرو بن أمِّ مكتومٍ، واسمُ أمِّ مكتومٍ عاتكةُ بنت [عبد الله بن عنكثة بن] عامر ابن مخزوم، وعمرو هذا: هو ابنُ قيس بنِ زائدة بن الأصمِّ، وهو ابنُ خالِ خديجةَ رضي الله عنها[٢]. وكان قد تَشَاغَلَ عنه برجلٍ من عظماء المشركين؛ يقال: كان الوليد بنَ المغيرة. ابن العربيِّ[٣]: قاله المالكيةُ من علمائنا، وهو يُكْنَى أبا عبد شمس.

وقال قتادةُ: هو أمية بنُ خلف. وعنه: أُبيّ بن خلف[٤]. وقال مجاهدٌ: كانوا ثلاثةً: عتبة وشيبة ابنا ربيعة وأُبيّ بن خلف[٥]. وقال عطاءٌ: عتبة بن ربيعة. سفيان الثوريُّ: كان النبيُّ ﷺ مع عمِّه العباس[٦].

الزمخشريُّ[٧]: كان عنده صناديدُ قريشٍ: عتبةُ وشيبةُ ابنا ربيعة، وأبو جهل بنُ هشام، والعباس بنُ عبد المطلَّب، وأميةُ بن خَلف، والوليدُ بن المغيرة، يدعوهم إلى

---

(١) سنن الترمذي (٣٣٣١).

(٢) الاستيعاب ٨/ ٣٥١، وما سلف بين حاصرتين منه.

(٣) في أحكام القرآن ٤/ ١٨٩٣.

(٤) أخرج القولين الطبري ٢٤/ ١٠٤.

(٥) أخرجه الطبري ٢٤/ ١٠٧ فلم يذكر أبي بن خلف، وأخرجه عبد بن حميد وابن المنذر كما في الدر المنثور ٦/ ٣١٥ وفيه: عتبة بن ربيعة وأمية بن خلف.

(٦) أخرجه الطبري ٢٤/ ١٠٧.

(٧) في الكشاف ٤/ ٢١٧.

الإسلام. رَجاءَ أن يُسلم بإسلامهم غيرُهم.

قال ابن العربيِّ: أمَّا قولُ علمائنا: إنَّه الوليد بنُ المغيرة، وقال آخرون: إنه أميةُ ابن خلفٍ والعباسُ، وهذا كلُّه باطلٌ وجهلٌ من المفسِّرين الذين لم يتحقَّقوا الدِّينَ، ذلك أنَّ أميةَ والوليدَ كانا بمكةَ وابن أمِّ مكتومٍ كان بالمدينة، ما حَضَر معهما ولا حَضَرا معه، وكان موتُهما كافرين، أحدُهما قَبلَ الهجرةِ، والآخَرُ ببدرٍ، ولم يَقصِدْ قطُّ أميةُ المدينةَ، ولا حَضَر عندَه مُفرَداً، ولا مع أحدٍ[1].

الثالثة: أقبَلَ ابنُ أمِّ مكتومٍ والنبيُّ ﷺ مُشتغلٌ بمَن حَضَره من وجوه قريشٍ يدعوهم إلى الله تعالى، وقد قَوِيَ طَمَعُه في إسلامهم، وكان في إسلامهم إسلامُ مَن وراءَهم مِن قومهم، فجاء ابنُ أمِّ مكتومٍ وهو أعمى فقال: يا رسولَ الله، علِّمْني ممَّا عَلَّمكَ الله، وجعل يناديه ويُكثِرُ النداءَ، ولا يدري أنه مشتغلٌ بغيره، حتى ظهرت الكراهةُ في وجه رسولِ الله ﷺ لقَطْعِه كلامَه، وقال في نفسه: يقولُ هؤلاء: إنَّما أتباعُه العُميانُ والسِّفْلةُ والعبيد، فعَبَس وأعرَضَ عنه، فنزلت الآية[2]. قال الثَّوريُّ: فكان النبيُّ ﷺ بعد ذلك إذا رأى ابنَ مكتومٍ يبسُطُ له رداءَه ويقول: «مرحباً بمَن عاتَبني فيه ربِّي». ويقولُ: «هل مِن حاجةٍ»؟ واستخلفه على المدينة مرَّتين في غزوتين غَزَاهما[3]. قال أنس: فرأيتُه يوَم القادسيةِ راكباً وعليه درعٌ ومعه رايةٌ سوداء[4].

---

(١) أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٨٩٣-١٨٩٤ . وذكر أبو حيان في البحر ٨/ ٤٢٧ هذا الكلام عن القرطبي، ثم قال: والغلط من القرطبي كيف ينفي حضورَ ابن أمِّ مكتوم معهما (يعني أمية والوليد)، وهو وهمٌ منه، وكلهم من قريش، والسورة كلها مكية بالإجماع... وكانوا جميعهم بمكة حين نزول هذه الآية.

(٢) أسباب النزول للواحدي ص٤٧٩ ، وتفسير البغوي ٤/ ٤٤٦ ، وأخرجه بنحوه عبد بن حميد عن مجاهد، كما في الدر المنثور ٦/ ٣١٥ .

(٣) الكشاف ٤/ ٢١٧، وتفسير البغوي ٤/ ٤٤٦ ، وتفسير الرازي ٣٠/ ٥٤ .

(٤) أخرجه عبد الرزاق ٢/ ٣٤٨ ، وأحمد (١٢٣٤٤)، والطبري ٢٤/ ١٠٤ ، وزاد أحمد في أوله: استخلف رسول الله ﷺ ابن أم مكتوم مرتين على المدينة، ولقد رأيته...، وأخرجه أبو داود (٢٩٣١) بذكر الاستخلاف فقط.

الرابعة: قال علماؤنا: ما فَعَله ابنُ أمِّ مكتومٍ كان من سوءِ الأدبِ لو كان عالماً بأنَّ النبيَّ ﷺ مشغولٌ بغيره، وأنَّه يَرْجو إسلامَهم، ولكنَّ الله تبارك وتعالى عاتَبه حتى لا تَنكَسِرَ قلوبُ أهلِ الصُّفَّةِ، أو ليعلم أنَّ المؤمن الفقيرَ خيرٌ من الغنيِّ، وكان النظر إلى المؤمن أوْلَى، وإنْ كان فقيراً أصلحُ وأوْلَى من الأمرِ الآخَرِ، وهو الإقبالُ على الأغنياء طمعاً في إيمانهم، وإن كان ذلك أيضاً نوعاً من المصلحة، وعلى هذا يخرج قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ﴾ الآية [الأنفال: ٦٧] على ما تقدَّم.

وقيل: إنَّما قَصَدَ النبيُّ ﷺ تأليفَ الرجلِ، ثقةً بما كان في قلبِ ابنِ أمِّ مكتومٍ من الإيمان؛ كما قال: «إنِّي لأُعطي[1] الرجلَ وغيرُه أحبُّ إليَّ منه، مخافةَ أن يَكُبَّه الله في النار على وجهه»[2].

الخامسة: قال ابن زيد: إنَّما عبس النبيُّ ﷺ لابنِ أمِّ مكتومٍ وأعرَضَ عنه؛ لأنه أشار إلى الذي كان يقودُه أنْ يكفَّه، فدفعه ابنُ أمِّ مكتومٍ، وأبَى إلَّا أنْ يكلِّم النبيَّ ﷺ حتى يعلِّمه[3]. فكان في هذا نوعُ جفاءٍ منه، ومع هذا أنزل الله في حقِّه على نبيِّه ﷺ: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾ بلفظِ الإخبار عن الغائب؛ تعظيماً له[4]، ولم يَقُلْ: عَبَسْتَ وتَولَّيْتَ. ثم أقبلَ عليه بمواجهةِ الخطاب تأنيساً له فقال: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾ أي: يُعلِمُكَ ﴿لَعَلَّهُۥ﴾ يعني ابنَ أمِّ مكتوم ﴿يَزَّكَّىٰٓ﴾ بما استدعى منكَ تعليمَه إياه من القرآن والدِّين، بأنْ يزدادَ طهارةً في دينه، وزوال ظلمةِ الجهلِ عنه.

وقيل: الضميرُ في «لعله» للكافر، يعني: إنَّك إذا طمعتَ في أنْ يتزكَّى بالإسلام، أو يذَّكَّرَ فتقرِّبه الذِّكرى إلى قبولِ الحقِّ، وما يُدْريكَ أنَّ ما طَمِعتَ فيه كائن[5].

---

(١) في (م): لأصل.

(٢) قطعة من حديث أخرجه أحمد (١٥٢٢)، والبخاري (٢٧)، ومسلم (١٥٠) عن سعد بن أبي وقاص ﷺ. والكلام من أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٨٩٣.

(٣) أخرجه بنحوه الطبري ٢٤/ ١٠٥.

(٤) في (د): تعليماً.

(٥) تفسير الرزاي ٣١/ ٥٦.

وقرأ الحسن: «آن جاءه الأعمى» بالمدِّ على الاستفهام، فـ«أنْ» متعلِّقةٌ بفعلٍ محذوفٍ دلَّ عليه ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾ التقدير: أأن جاءه أعرَضَ عنه وتَولَّى؟ فيوقَفُ على هذه القراءةِ على «وتولَّى»[1]. ولا يوقفُ عليه على قراءة الخبر، وهي قراءةُ العامة.

السادسة: نظيرُ هذه الآيةِ في العتاب قولُه تعالى في سورة الأنعام: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ﴾ [الآية: ٥٢] وكذلك قولُه في سورة الكهف: ﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الآية: ٢٨] وما كان مثلَه، والله أعلم.

﴿أَوْ يَذَّكَّرُ﴾ يَتَّعِظ بما تقولُ ﴿فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ﴾ أي: العِظَةُ. وقراءةُ العامَّةِ: «فتنفعُه» بضمِّ العين، عَطفاً على «يَزَّكَّى». وقرأ عاصم وابنُ أبي إسحاقَ وعيسى: «فتنَفَعَه» نصباً[2]. وهي قراءةُ السُّلَميِّ وزِرّ بنِ حُبَيش، على جواب لعلَّ؛ لأنه غيرُ مُوجَبٍ، كقوله تعالى: ﴿لَّعَلِّيٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ﴾ ثم قال: ﴿فَأَطَّلِعَ﴾ [غافر: ٣٦-٣٧].

قوله تعالى: ﴿أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخْشَىٰ ۝٩ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ۝١٠﴾

قوله تعالى: ﴿أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ﴾ أي: كان ذا ثروةٍ وغِنًى ﴿فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ﴾ أي: تَعَرَّضُ له، وتُصغِي لكلامه. والتَّصدِّي: الإصغاءُ؛ قال الراعي:

تَـصَـدَّى لـوضـاحٍ كـأنَّ جـبـيـنَـه ... سِرَاج الدُّجَى تُجبَى إليه الأساورُ[3]

وأصلُه: تَتَصدَّدُ من الصَّدَد[4]، وهو ما استقبلك، وصار قُبَالَتَك؛ يقال: داري

---

(١) المحتسب ٢/ ٣٥٢، وقال ابن جني: فكأنه قال: أَلِأنْ جاءه الأعمى كان ذلك منه. والقراءة في القراءات الشاذة ص١٦٨.

(٢) السبعة ص٦٧٢، والتيسير ص٢٢٠.

(٣) في (ي) و(م): يحني إليه الأساور، والمثبت من باقي النسخ. وروايته في ديوان الراعي ص١٠٩، ومنتهى الطلب من أشعار العرب ٦/ ٩٢:

تَـصَـدَّى لـوضـاح الـجـبـيـن كـأنـه ... سراجُ الدُّجى تُجْبَى إليه السوائر

(٤) في (م). الصد، وفي (ظ) و(ي): الصدود، والمثبت من (د)، وهو موافق لما في تفسير الرازي ٣١/ ٥٦، والبحر ٨/ ٤٢٥، والدر المصون ١٠/ ٦٨٧.

صَدَدَ دارِه، أي: قُبالتَها، نُصِبَ على الظرف[١]. وقيل: من الصَّدَى وهو العطش. أي: تتعرَّض له كما يتعرَّض العطشانُ للماء، والمصَاداةُ: المعارَضة.

وقراءةُ العامَّةِ: «تَصَدَّى» بالتخفيف، على طَرْحِ التاء الثانية تخفيفاً. وقرأ نافعٌ وابنُ مُحيصنٍ بالتشديد على الإدغام[٢].

﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ﴾ أي: لا يهتدي هذا الكافر ولا يؤمن، إنَّما أنت رسولٌ، ما عليك إلَّا البلاغ.

قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ﴾ يطلبُ العلمَ لله ﴿وَهُوَ يَخْشَىٰ﴾ أي: يخافُ اللهَ ﴿فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ﴾ أي: تُعرِضُ عنه بوجهك وتَشتَغلُ بغيره. وأصلُه: تتلهَّى. يقال: لَهِيتُ عن الشيء ألهَى، أي: تَشاغَلتُ عنه. والتلهِّي: التغافل. ولَهِيتُ عنه وتَلَهَّيْتُ بمعنى.

قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ۝١١ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ۝١٢ فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ۝١٣ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ ۝١٤ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ۝١٥ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ ۝١٦﴾

قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾ «كلَّا» كلمةُ رَدْعٍ وزَجْرٍ، أي: ما الأمرُ كما تفعلُ مع الفريقين، أي: لا تَفْعلْ بعدها مثلها: من إقبالك على الغنيِّ، وإعراضِكَ عن المؤمن الفقير، والذي جرى من النبيِّ ﷺ كان تَرْكَ الأولَى كما تقدَّم، ولو حُمِلَ على صغيرةٍ لم يَبْعُدْ؛ قاله القشيريُّ.

والوقفُ على «كلَّا» على هذا الوجهِ جائزٌ. ويجوز أن تقفَ على «تَلَهَّى»، ثم تبتدئ: «كَلَّا»، على معنى: حَقًّا.

﴿إِنَّهَا﴾ أي: السورةُ، أو آياتُ القرآن ﴿تَذْكِرَةٌ﴾ أي: مَوعظةٌ وتَبصِرةٌ للخَلْق ﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ﴾ أي: اتَّعظ بالقرآن.

قال الجُرْجانيُّ: «إنها» أي: القرآن، والقرآنُ مذكَّر إلَّا أنه لمَّا جُعل القرآنُ

---

(١) الصحاح (صدد).

(٢) أي: «تصَّدَّى»، وقرأ بها من السبعة أيضاً ابن كثير. السبعة ص٦٧٢ ، والتيسير ص٢٢٠ .

تذكرةٌ، أخرجه على لفظِ التَّذكِرة، ولو ذَكَّره لجاز، كما قال تعالى في موضعٍ آخَر: ﴿كَلَآ إِنَّهُۥ تَذۡكِرَةٞ﴾ [المدثر: ٥٤]. ويدلُّ على أنَّه أرادَ القرآنَ قولُه: ﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ﴾[١] أي: كان حافظاً له غيرَ ناسٍ، وذكَّر الضمير. لأنَّ التذكرة في معنى الذِّكرِ والوَعظِ. وروى الضحَّاكُ عن ابن عباس في قوله تعالى: «فمن شاء ذَكَره» قال: مَن شاء الله تبارك وتعالى ألْهَمه[٢].

ثم أخبر عن جَلَالته فقال: ﴿فِي صُحُفٖ﴾ جمعُ صحيفةٍ ﴿مُّكَرَّمَةٖ﴾ أي: عند الله، قاله السّدِّيّ. الطبريُّ: «مُكَرَّمةٍ» في الدِّين؛ لمَا فيها من العلم والحِكَم. وقيل: «مُكَرمةٍ» لأنها نزل بها كرامُ الحفَظة[٣]. أو لأنَّها نازلةٌ من اللوح المحفوظ.

وقيل: «مكرمةٍ» لأنَّها نزلت من كريم؛ لأنَّ كرامةَ الكتابِ من كرامة صاحبِه[٤].

وقيل: المرادُ كُتُبُ الأنبياءِ، دليلُه: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ . صُحُفِ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ [الأعلى: ١٨-١٩][٥].

﴿مَّرۡفُوعَةٖ﴾ رفيعة القَدرِ عند الله. وقيل: مرفوعة عنده تبارك وتعالى. وقيل: مرفوعة في السماء السابعة؛ قاله يحيى بن سلام. الطبريُّ: مرفوعة الذِّكرِ والقَدْر. وقيل: مرفوعة عن الشُّبَه والتناقُض[٦].

﴿مُّطَهَّرَةِۭ﴾ قال الحسن: من كلِّ دَنَس. وقيل: مُصَانة[٧] عن أنْ ينالَها الكفَّار.

---

(١) تفسير الرازي ٣١/ ٥٩ .

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط ٤/ ٤٢٣ بلفظ: فمن شاء الله ألهمه وفهمه القرآن حتى يذكره ويتَّعظ به.

(٣) ذكر هذه الأقوال الماوردي في النكت والعيون ٦/ ٢٠٣ ، ولم نقف على قول الطبري في تفسيره.

(٤) النكت والعيون ٦/ ٢٠٣ .

(٥) تفسير البغوي ٤/ ٤٤٧ .

(٦) ذكر هذه الأقوال الماوردي في النكت والعيون ٦/ ٢٠٣-٢٠٤ ، ولم نقف على قول الطبري في تفسيره.

(٧) كذا في النسخ، والصواب: مصونة، يقال: صنت الشيء فهو مَصُون، ولا تقل: مُصَان. تهذيب اللغة ١٢/ ٢٤٢ ، والصحاح (صون)، واللسان (صون).

وهو معنى قولِ السُّدِّيّ. وعن الحسن أيضاً: مُطهَّرة من أن تنزل على المشركين[١].

وقيل: أي: القرآن أُثبت للملائكة في صحفٍ يقرؤونها، فهي مكرمةٌ مرفوعةٌ مطهَّرة.

﴿بِأَيْدِى سَفَرَةٍ﴾ أي: الملائكة الذين جعلهم الله سُفراءَ بينه وبين رُسُله، فهم بَررةٌ لم يتدنَّسوا بمعصيةٍ. ورَوى أبو صالحٍ عن ابن عباس قال: هي مطهَّرةٌ تجعلُ التطهيرَ لمن حملها، «بأيدي سَفَرةٍ» قال: كَتَبةٍ[٢]. وقاله مجاهدٌ أيضاً[٣].

وهم الملائكةُ الكرامُ الكاتبون لأعمالِ العبادِ في الأسفار، التي هي الكتبُ، واحدُهم: سافِرٌ، كقولك: كاتبٌ وكَتَبة. ويقال: سَفَرتُ، أي: كتبتُ، والكتاب: هو السِّفْر، وجَمْعُه أسفار. قال الزجَّاج[٤]: وإنَّما قيل للكِتَاب سِفرٌ ـ بكَسرِ السِّين ـ وللكاتب سافِر؛ لأنَّ معناه أنه يبيِّنُ الشيءَ ويوضِّحُه. يقال: أسفَر الصبح: إذا أضاء، وسفَرتِ المرأة: إنما كَشَفَت النقابَ عن وجهها. قال: ومنه سَفَرتُ بين القومِ أسفِرُ سِفارةً: أصلَحتُ بينهم. وقاله الفرَّاء، وأنشد:

فما أدَعُ السِّفارةَ بينَ قومي ولا أمشي بغِشٍّ إنْ مَشَيْتُ[٥]

والسَّفير: الرسولُ والمُصْلِحُ بين القوم، والجمع: سُفَراء، مثل: فقيهٍ وفقهاء. ويقال للورَّاقين: سُفَراءُ، بلُغةِ العِبرانية.

وقال قتادة: السَّفَرة هنا هم القُرَّاء؛ لأنَّهم يقرؤون الأسفار. وعنه أيضاً كقولِ

---

(١) النكت والعيون ٦/ ٢٠٤ .

(٢) أخرجه الطبري ٢٤/ ١٠٨ مختصراً بلفظ: ﴿بِأَيْدِى سَفَرَةٍ﴾ قال: كتبة.

(٣) أخرجه عبد بن حميد كما في الدر المنثور ٦/ ٣١٥ .

(٤) في معاني القرآن ٥/ ٢٨٤ .

(٥) معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٣٦ ، وتفسير الطبري ٢٤/ ١٠٩ ، ونسبه المرزباني في معجم الشعراء ص٢٨٥ لموسى بن جابر الحنفي اليمامي، وهو شاعر نصراني جاهلي يلقب: أُزَيْرِق اليمامة، ويعرف بابن ليلى.

ابن عباس[١].

وقال وهب بن مُنبِّه: ﴿بِأَيْدِى سَفَرَةٍ كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾ هم أصحابُ النبيِّ ﷺ. قال ابن العربي[٢]: لقد كان أصحابُ رسولِ الله ﷺ سَفَرةً، كِراماً بَرَرَةً، ولكنْ ليسوا بمُرادِينَ بهذه الآية، ولا قارَبوا المرادِينَ بها، بل هي لفظةٌ مخصوصةٌ بالملائكة عند الإطلاق، ولا يشاركُهم فيها سواهم، ولا يدخل معهم في مُتناولها غيرُهم. ورُوي في الصَّحيح عن عائشةَ رضي الله عنها: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «[مَثَلُ] الذي يقرأ القرآنَ وهو حافظٌ له، مع السَّفَرةِ الكرامِ البررة، ومَثَلُ الذي يقرؤه وهو يتَعاهدُه، وهو عليه شديدٌ، فله أجران» متفقٌ عليه، واللفظُ للبخاريِّ[٣].

﴿كِرَامٍ﴾ أي: كرامٍ على ربِّهم؛ قاله الكلبيُّ. الحسن: كرام عن المعاصي، فهم يرفعون أنفسَهم عنها[٤]. وروى الضحاك عن ابن عباس في «كِرامٍ» قال: يتكرَّمون أن يكونوا مع ابنِ آدمَ إذا خلا بزوجته، أو تَبرَّز لغائطه[٥]. وقيل: أي: يُؤثِرون منافعَ غيرهم على منافع أنفسهم.

﴿بَرَرَةٍ﴾ جمعُ بارٍّ، مثل: كافرٍ وكَفَرة، وساحِرٍ وسَحَرة، وفاجِرٍ وفَجَرة؛ يقال: بَرٌّ وبارٌّ: إذا كان أهلاً للصِّدق، ومنه بَرَّ فلانٌ في يمينه، أي: صَدَق، وفلانٌ يَبرُّ خالقَه ويتبرَّرُه، أي: يطيعُه، فمعنى «بررةٍ» مطيعون لله، صادقون لله في أعمالِهم[٦]. وقد مضى في سورة الواقعة قولُه تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ . فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ . لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا

(١) أخرج القولين الطبري ٢٤/١٠٨-١٠٩ .

(٢) في أحكام القرآن ٤/ ١٨٩٤ ، وما قبله وما سيأتي بين حاصرتين منه.

(٣) صحيح البخاري (٤٩٣٧)، وصحيح مسلم (٧٩٨)، وسلف ١/ ١٤ .

(٤) النكت والعيون ٦/ ٢٠٤ .

(٥) ذكره الرازي ٣١/ ٥٨ عن عطاء قوله.

(٦) في (د): إيمانهم.

﴿ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾ [الآيات: ٧٧-٧٩] أنَّهم الكرامُ البرَرَةُ في هذه السورة[١].

قوله تعالى: ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ ﴿٢٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ﴾ «قتِل» أي: لُعِن. وقيل: عُذِّب. والإنسانُ: الكافر. روى الأعمشُ عن مجاهدٍ قال: ما كان في القرآن «قُتِل الإنسان» فإنَّما عُني به الكافر[٢].

وروى الضحَّاكُ عن ابن عباس قال: نزلت في عُتبةَ بنِ أبي لَهَب، وكان قد آمن فلمَّا نزلتْ «والنجم» ارتدَّ، وقال: آمنت بالقرآن كلِّه إلَّا النجم، فأنزل الله جلَّ ثناؤه فيه ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ﴾[٣] أي: لُعِنَ عُتبةُ، حيث كَفَر بالقرآن، ودعا عليه رسول الله ﷺ فقال: «اللهُمَّ سَلِّطْ عليه كَلْبكَ أسَدَ الغاضِرَة» فخرج من فَورِه بتجارةٍ إلى الشام، فلمَّا انتهى إلى الغاضرة تذكَّر دعاءَ النبيِّ ﷺ، فجعل لمَن معه ألفَ دينارٍ إنْ هو أصبح حيًّا، فجعلوه في وسط الرُّفقةِ، وجعلوا المتاعَ حوله، فبينما هم على ذلك أقبل الأسد، فلمَّا دنا من الرِّحال وثب فإذا هو فوقه فمزَّقه، وقد كان أبوه نَدبه وبكى وقال: ما قال محمدٌ شيئاً قَطُّ إلَّا كان[٤].

---

(١) عند تفسير الآية (٧٩) في المسألة الخامسة.

(٢) أخرجه الطبري ٢٤/ ١١٠ .

(٣) أخرجه ابن المنذر عن عكرمة، كما في الدر المنثور ٦/ ٣١٥ ، وذكره الماوردي في النكت والعيون ٦/ ٢٠٥ عن ابن جريج ومجاهد، ولم نقف عليه عن ابن عباس.

(٤) سلف المرفوع منه في بداية تفسير سورة النجم بلفظ: «اللهم سلط عليه كلباً من كلابك». وكذا أخرجه أبو الفرج في الأغاني ١٦/ ١٧٦ عن عكرمة، ثم قال: فقال ابن عباس: فخرج إلى الشام في ركب فيهم هبار بن الأسود، حتى إذا كانوا بوادي الغاضرة، وهي مَسبَعة، نزلوا ليلاً...، وذكر الخبر.

وروى أبو صالح عن ابن عباس: «ما أكْفَره»: أيُّ شيءٍ أكفَرَه[١]؟

وقيل: «ما» تعجُّبٌ؛ وعادةُ العربِ إذا تعجَّبوا من شيءٍ قالوا: قاتَلَه الله ما أحسَنه! وأخْزاه الله ما أظْلَمَه! والمعنى: اعجَبوا مِن كُفرِ الإنسانِ، لجميع ما ذَكَرنا بعد هذا[٢].

وقيل: ما أكْفَره بالله ونعمِه مع معرفتِه بكَثرةِ إحسانِه إليه، على التعجُّب أيضاً؛ قال ابنُ جُرَيج: أي: ما أشدَّ كُفرَه[٣]!

وقيل: «ما» استفهامٌ، أي: أيُّ شيءٍ دعاه إلى الكُفْر[٤]؛ فهو استفهامُ توبيخٍ. و«ما» تَحتَمِلُ التعجُّبَ، وتحتملُ معنى «أيّ» فتكونُ استفهاماً.

﴿مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ أي: مِن أيِّ شيءٍ خَلَقَ الله هذا الكافرَ فيتكبَّر؟ أي: اعجَبوا لخَلْقِه. ﴿مِن نُّطْفَةٍ﴾ أي: من ماءٍ يَسيرٍ مهين جَماد ﴿خَلَقَهُۥ﴾ فلمَ يغْلُظ[٥] في نفسه؟! قال الحسن: كيف يتكبَّر مَن خرج من سَبيل البولِ مرَّتين[٦].

﴿فَقَدَّرَهُۥ﴾ في بَطْنِ أمِّه؛ كذا روى الضحَّاك عن ابن عباس[٧]، أي: قدَّر يديه ورجليه وعينيه وسائر آرابه[٨]، وحَسناً ودَميماً، وقصيراً وطويلاً، وشقيًّا وسعيداً.

وقيل: «فقدَّره» أي: فسوَّاه، كما قال: ﴿أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ

---

(١) ذكره أبو الليث ٣/ ٤٤٨ عن الكلبي، وذكره الماوردي في النكت والعيون ٦/ ٢٠٥ عن السدي ويحيى ابن سلام.

(٢) النكت والعيون ٦/ ٢٠٥ .

(٣) أخرجه ابن المنذر كما في الدر المنثور ٦/ ٣١٥ .

(٤) تفسير البغوي ٤/ ٤٤٨ ، وقد سلف هذا القول قريباً من رواية أبي صالح عن ابن عباس.

(٥) في (م): يغلط.

(٦) ذكره عن الحسن الجصاص في أحكام القرآن ٣/ ٣٥٢ ، وأخرجه البيهقي في الشعب (٨٢١٠) عن الأحنف بن قيس ﷺ.

(٧) أخرجه عبد بن حميد وابن المنذر عن عكرمة، كما في الدر المنثور ٦/ ٣١٦ .

(٨) جمع إرْب، وهو العضو. اللسان (أرب).

﴿ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا﴾ [الكهف: ٣٧]. وقال: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ﴾ [الانفطار: ٧].

وقيل: فقدَّره أطواراً، أي: من حالٍ إلى حالٍ؛ نطفةً ثم علقةً، إلى أنْ تمَّ خَلقُه.

﴿ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ﴾ قال ابن عباس في روايةِ عطاءٍ، وقتادةُ والسدِّيُّ ومقاتلٌ: يسَّره للخروج من بَطْنِ أمِّه[١].

مجاهدٌ: يسَّره لطريقِ الخيرِ والشرِّ، أي: بيَّن له ذلك، دليلُه: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ﴾ [الإنسان: ٣]، ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ [البلد: ١٠]. وقاله الحسن وعطاء[٢]، وابنُ عباسٍ أيضاً في روايةِ أبي صالح عنه.

وعن مجاهدٍ أيضاً قال: سبيل الشَّقاءِ والسعادة[٣]. ابن زيد: سبيل الإسلام[٤].

وقال أبو بكر بن طاهرٍ: يَسَّر على كلِّ أحدٍ ما خَلَقه له، وقدَّره[٥] عليه؛ دليلُه قولُه عليه السلام: «اعْمَلوا فكلٌّ مُيسَّرٌ لِمَا خُلِقَ له»[٦].

﴿ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ﴾ أي: جَعَل له قبراً يُوَارَى فيه إكراماً له، ولم يَجعَله ممَّا يلْقَى على وَجْهِ الأرضِ تأكله الطيرُ والعَوافي، قاله الفرَّاء[٧].

وقال أبو عبيدةَ: «أقْبَره»: جَعل له قبراً، وأمَر أنْ يُقبَر. قال أبو عبيدة: ولمَّا قَتَل عمرُ بن هُبيرةَ صالحَ بن عبد الرحمن، قالت بنو تميم ودخلوا عليه: أَقْبِرنا صالحاً، فقال: دونكُموه. وقال: «أقْبَره» ولم يَقُلْ: قَبَره؛ لأنَّ القابِرَ هو الدَّافِنُ بيده، قال الأعشى:

---

(١) تفسير الطبري ٢٤/ ١١١-١١٢ .

(٢) تفسير الطبري ٢٤/ ١١٢-١١٣ عن مجاهد والحسن.

(٣) أخرجه عبد الرزاق ٢/ ٣٤٨ .

(٤) أخرجه الطبري ٢٤/ ١١٣ .

(٥) في (د) و(ظ): وقدر.

(٦) أخرجه أحمد (٦٢١)، والبخاري (٤٩٤٩)، ومسلم (٢٦٤٧) من حديث علي ﷺ، وسلف ١٠/ ٤٢١ .

(٧) في معاني القرآن ٣/ ٢٣٧ ، والعوافي مفردها: العافية والعافي، وهو كل طالب رزق من إنسان أو بهيمة أو طائر. النهاية (عفا).

لـو أسـنَـدَتْ مَـيْـتـاً إلـى نـحـرِهـا عـاشَ ولـم يُـنـقَـلْ إلـى قـابِـرِ[١]

يقال: قبرتُ الميتَ: إذا دفنته، وأقْبره الله: أي: صيَّره بحيث يُقْبَر، وجعل له قبراً؛ تقول العرب: بترتُ ذَنَب البعير، وأبترَه الله، وعَضَبْتُ قَرنَ الثورِ، وأعضَبه الله، وطَرَدتُ فلاناً، والله أطْرَدَه، أي: صيَّره طَريداً[٢].

﴿ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ﴾ أي: أحياه بعدَ مَوْته. وقراءةُ العامَّة: «أنشرهُ» بالألف. وروى أبو حَيوةَ عن نافعٍ وشعيب بن أبي حمزة: «شاء نَشَره» بغير ألفٍ[٣]، لغتان فصيحتان بمعنى[٤]؛ يقال: أنَشَر الله الميتَ ونَشَره؛ قال الأعشى:

حـتـى يـقـولَ الـنـاسُ مـمَّـا رأوْا يـا عَـجَـبـاً لـلـمـيِّـتِ الـنَّـاشِـرِ[٥]

قوله تعالى: ﴿كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ﴾ قال مجاهدٌ وقتادةُ: «لَمَّا يَقضِ»: لا يقضي أحدٌ ما أُمِر به[٦]. وكان ابن عباس يقول: «لمَّا يَقْضِ ما أمَره»: لم يَفِ بالميثاق الذي أُخِذَ عليه في صُلْبِ آدم. ثم قيل: «كَلَّا» رَدْعٌ وزَجرٌ، أي: ليس الأمرُ كما يقول الكافر؛ فإنَّ الكافر إذا أخْبِرَ بالنُّشور وقال[٧]: ﴿وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ﴾ [فصلت: ٥٠] ربَّما يقول: قد قَضَيتُ ما أُمِرْتُ به. فقال: كلَّا لم يَقْضِ شيئاً،

---

(١) مجاز القرآن ٢/ ٢٨٦ ، والبيت في ديوان الأعشى ١٨٩ . وعمر بن هبيرة هو أبو المثنى الفزاري الشامي، أمير العراقين، توفي سنة (١٠٧هـ). السير ٤/ ٥٦٢ . وصالح بن عبد الرحمن هو كاتب الحجاج، وهو الذي نقل ديوان العراق من الفارسية إلى العربية، وكان يرى رأي الخوارج، ويقال: إن الذي قتله هو الحجاج. ينظر ما سلف ١/ ٣٥١ ، وغريب الحديث لابن قتيبة ١/ ٢٨١ ، والكامل للمبرد ٢/ ٧٢٩ ، وجمهرة اللغة ١/ ٢٧١ .

(٢) معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٣٧ .

(٣) المحتسب ٢/ ٣٥٣ ، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٣٩ ، والبحر ٨/ ٤٢٩ . وشعيب بن أبي حمزة هو أبو بشر الأموي مولاهم الحمصي الكاتب، واسم أبيه دينار. توفي سنة (١٦٢هـ). السير ٧/ ١٨٧ .

(٤) وقال ابن جني في المحتسب ٢/ ٣٥٣ : «أنشر» أقوى اللغتين.

(٥) ديوان الأعشى ص١٩١ .

(٦) أخرجه الطبري ٢٤/ ١١٤ عن مجاهد بلفظ: لا يقضي أحد أبداً ما افتُرِض عليه.

(٧) في (د) و(م): قال.

بل هو كافرٌ بي وبرسولي.

وقال الحسن: أي: حَقّاً لم يَقْضِ[١]، أي: لم يَعمَلْ بما أُمِرَ به. و«ما» في قوله: «لمَّا» عمادٌ للكلام[٢]؛ كقوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٩] وقولِه: ﴿عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَٰدِمِينَ﴾ [المؤمنون: ٤٠].

وقال الإمامُ ابن فُورَك: أي: كلَّا لَمَّا يَقْضِ الله لهذا الكافرِ ما أمره به من الإيمان، بل أمرَه بما لم يَقضِ له [به][٣].

ابن الأنباريِّ: الوَقفُ على «كلَّا» قبيح، والوقفُ على «أمره» و«أنشره» جيد[٤]؛ فـ«كلَّا» على هذا بمعنى حقًّا.

قوله تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾﴾

قوله: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ﴾ لمَّا ذَكَر جلَّ ثناؤه ابتداءَ خَلْقِ الإنسانِ، ذَكَر ما يسَّر مِن رِزقه، أي: فَلينظرْ كيف خَلَق الله طعامَه. وهذا النظرُ نظرُ القلبِ بالفكر، أي: ليتَدَبَّرْ كيف خَلَق الله طعامَه الذي هو قِوَامُ حياتِه، وكيف هَيَّأ له أسبابَ المعاش، ليستعدَّ بها للمعاد. ورُوي عن الحسن ومجاهدٍ قالا: «فَلينظرِ الإنسان إلى طعامِهِ» أي: إلى مدخله ومخرجه[٥].

وروى ابن أبي خَيثمةَ عن الضحَّاك بن سفيان الكلابيِّ قال: قال لي النبيُّ ﷺ: «يا ضحاكُ، ما طعامُك؟» قلت: يا رسولَ الله! اللَّحمُ واللَّبن. قال: «ثم يصيرُ إلى ماذا؟»

---

(١) تفسير البغوي ٤/ ٤٤٨، وزاد المسير ٩/ ٣٢.

(٢) يعني صلة.

(٣) تفسير الرازي ٣١/ ٦١، وما بين حاصرتين منه.

(٤) بنحوه في إيضاح الوقف والابتداء ٢/ ٩٦٦.

(٥) تفسير البغوي ٤/ ٤٤٨ عن مجاهد، وأخرجه عنه عبد بن حميد كما في الدر المنثور ٦/ ٣١٦.

قلتُ: إلى ما قد عَلِمتَه؛ قال: «فإنَّ الله ضَرَبَ ما يَخرجُ من ابنِ آدمَ مثلاً للدنيا»[١]. وقال أبيّ بن كعب: قال النبيُّ ﷺ: « إنَّ مَطْعَم ابن آدمَ جُعِل مَثَلاً للدنيا، وإنْ قَزَحَه ومَلَحه، فانظرْ إلى ما يصير»[٢].

وقال أبو الوليد: سألتُ ابنَ عمر عن الرجل يدخلُ الخَلاءَ فينظر ما يخرجُ منه؛ قال: يأتيه الملكُ فيقولُ: انْظُر ما بَخِلتَ به إلى ما صار[٣]؟

قوله تعالى: ﴿أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا﴾ قراءةُ العامَّة: «إنَّا» بالكسر، على الاستئناف. وقرأ الكوفيون ورُوَيس عن يعقوب: «أنَّا» بفتح الهمزة[٤]، فـ«أنَّا» في موضعِ خَفْضٍ على الترجمة عن الطعام، فهو بدَلٌ منه، كأنه قال: فلينظُرِ الإنسانُ إلى طعامِهِ، إلى أنَّا صَبَبنا. فلا يَحسُنُ الوقفُ على «طعامِهِ» من[٥] هذه القراءة، وكذلك إنْ رَفَعتَ «أنَّ»[٦] بإضمارِ: هو أنَّا صببنا؛ لأنَّها في حالِ رَفعِها مُتَرجمةٌ عن الطعام. وقيل: المعنى: لأنَّا صَببنا الماءَ، فأخْرَجْنا به الطعامَ، أي: كذلك[٧] كان.

وقرأ الحسين بن علي: «أنّى» ممال، بمعنى كيف[٨]؟ فَمن أخذَ بهذه القراءة قال:

---

(١) أخرجه أحمد (١٥٧٤٧).

(٢) أخرجه عبد الله بن أحمد في زوائده على مسند أحمد (٢١٢٣٩)، قال السندي كما في حاشية المسند: قَزَحَه، أي: أصلحه بالأبزار (يعني حبوب التوابل)، و«إن» وصلية، أي: انظروا إلى ما يصير إليه وإن أصلحه. و«مَلَحه» بالتخفيف، يقال: مَلحت القدر: إذا طرحت فيها من الملح بقدر، وأملحتها وملَّحتها بالتشديد: إذا كثَّرت فيها الملح حتى فسدت.

(٣) ذكره بنحوه عن ابن عمر ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٤٣٩ ، وأخرج نحوه عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن أبي قلابة، كما في الدر المثنور ٦/ ٣١٦ .

(٤) السبعة ص٦٧٢ ، والتيسير ص٢٢٠ ، والنشر ٢/ ٣٩٨ .

(٥) في (ظ): على، والمثبت من باقي النسخ، وهو الموافق لما في إيضاح الوقف والابتداء ٢/ ٩٦٧ ، والكلام منه.

(٦) في (م): أنا، وليست في (ظ)، والمثبت من باقي النسخ وإيضاح الوقف والابتداء.

(٧) في (ظ): لذلك.

(٨) الكشاف ٤/ ٢١٩ ، والبحر ٨/ ٤٢٩ ، ووقع في النسخ الخطية: الحسن بن علي، وهو موافق لما في الدر المصون ١٠/ ٦٩٢ ، وفتح القدير ٥/ ٣٨٥ ، وذكر القراءة ابن الأنباري في إيضاح الوقف والابتداء ٢/ ٩٦٧ ، وفيه: وقرأ بعض القراء...

الوقفُ على «طعامه» تامٌّ. ويقال: معنى «أنّى»: أين، إلَّا أنَّ فيها كنايةً عن الوجوه، وتأويلُها: من أيِّ وجهٍ صببنا الماء؛ قال الكُميت:

أنَّـى ومِـن أيـن آبَـكَ الـطـرَبُ مِـن حـيـثُ لا صَـبـوةٌ ولا رِيـبُ[1]

﴿صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا﴾: يعني الغيثَ والأمطارَ ﴿ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا﴾: أي: بالنبات ﴿فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا﴾ أي: قمحاً وشعيراً وسُلْتاً، وسائرَ ما يُحصَدُ ويدَّخر ﴿وَعِنَبًا وَقَضْبًا﴾ وهو القَتُّ والعَلَف؛ عن الحسن[2]. سمِّي بذلك لأنه يقضب، أي: يُقْطَعُ بعد ظهورِه مرَّةً بعد مرةٍ. قاله القُتبيُّ وثعلب[3]. وأهلُ مكةَ يسمُّون القَتَّ: القَضْب[4].

وقال ابن عباس: هو الرُّطَبُ؛ لأنه يُقضَبُ من النخل، ولأنه ذَكَر العِنَبَ قبلَه. وعنه أيضاً: أنه الفِصفِصةُ[5]، وهو القَتُّ الرَّطْبُ.

وقال الخليل: القَضبُ: الفِصْفِصةُ الرَّطْبةُ ـ وقيل: بالسِّين ـ فإذا يبسَتْ فهو قَتٌّ. قال: والقَضْبُ اسمٌ يقع على ما يُقضَبُ من أغصان الشجرة، ليتَّخَذَ منها سِهامٌ أو قِسيٌّ[6].

ويقال: قَضْباً، يعني جميعَ ما يُقضَبُ، مثل القَتِّ والكُرَّاثِ وسائر البقول التي تُقطَع فينبتُ أصلُها.

---

(١) شرح هاشميات الكميت ص١٠٠، وإيضاح الوقف والابتداء ٢/ ٩٦٧، والكلام منه. قال أبو رياش القيسي شارح الهاشميات: آبك: أتاك ليلاً، والطَّرَب: الخفَّة من حزن ومن فرح جميعاً. يقول: إنما طربُك إلى بني هاشم لا صبوةٌ في صبا، ولا رِيب، أي: لا ريبة.

(٢) أخرجه الطبري ٢٤/ ١١٦ دون قوله: القت. والقَتُّ: الفِصْفِصة، وهي نبات كالبرسيم. المعجم الوسيط (قت) و(رطب). وفي النهاية (فصفص): الفِصْفِصة: هي الرَّطبةُ من علف الدوابّ، وتسمى: القت، فإذا جفَّ فهو قَضب. ويقال: فِسْفِسة بالسين.

(٣) تفسير الغريب لابن قتيبة ص٥١٤، وذكره عن ثعلب ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٤٣٩، وهو بنحوه في مجالس ثعلب ص٢٢٩، ووقع في النسخ: قال، بدل: قاله.

(٤) معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٣٨، وتفسير الطبري ٢٤/ ١١٦.

(٥) أخرجه الطبري ٢٤/ ١١٦، ولم نقف على الذي قبله.

(٦) بنحوه في العين ٥/ ٥٢-٥٣.

وفي «الصحاح»: والقَضبةُ والقَضبُ الرَّطْبةُ، وهي الإسْفِسْتُ بالفارسية، والموضع الذي تَنْبُتُ فيه: مَقضَبة[١].

﴿وَزَيْتُونًا﴾ وهي شجرةُ الزيتونِ ﴿وَنَخْلًا﴾ يعني النخيل ﴿وَحَدَآئِقَ﴾ أي: بساتين، واحدُها حديقة. قال الكلبيُّ: وكلُّ شيءٍ أُحيطَ عليه من نخيلٍ أو شجرٍ فهو حديقةٌ، وما لم يُحَطْ عليه فليس بحديقة[٢].

﴿غُلْبًا﴾ عِظَاماً شجرُها؛ يقال: شجرةٌ غَلباءُ، ويقال للأسد: الأغلَب؛ لأنه مُصمَتُ العنقِ، لا يَلتفتُ إلَّا جميعاً؛ قال العجَّاج:

مازِلتُ يومُ البَينِ ألوِي صَلَبي والرأسَ حتى صِرتُ مِثلَ الأغلَبِ[٣]

ورجلٌ أغلبُ بيِّنُ الغَلبِ: إذا كان غليظَ الرقبة. والأصلُ في الوصف بالغلب: الرقاب، فاستُعير. قال عمرو بن مَعْدِي كَرِب:

يَمشي بها غُلبُ الرقابِ كأنهم بُزُلٌ كُسِينَ من الكُحَيلِ جِلَالا[٤]

وحديقةٌ غَلبَاءُ: ملتفَّةٌ، وحدائقُ غُلبٌ. واغلَوْلَبَ العشبُ: بلغ والتَفَّ البعضُ بالبعض. قال ابن عباس: الغُلْب: جمع أغلَبَ وغَلباءَ، وهي الغِلاظ[٥]. وعنه أيضاً: الطِّوَال. قتادةُ وابنُ زيد: الغُلْبُ: النخلُ الكِرام. وعن ابن زيد أيضاً وعِكرمةُ: عِظَامُ الأوساطِ والجُذوع. مجاهد: ملتفَّة[٦].

---

(١) الصحاح (قضب). والرَّطبة: الفِصْفِصة، وكلُّ ما أكل من البنات غضًّا طريًّا. المعجم الوسيط (رطب).

(٢) تفسير أبي الليث ٣/ ٤٤٩ .

(٣) ذكره ابن دريد في الجمهرة ١/ ٢٩٨ و٣١٨ عن الأغلب العجلي، وقال: الصَّلَب: الصُّلْب، لغة تميمية. ولم نقف عليه في ديوان العجاج.

(٤) الكشاف ٤/ ٢٢٠ . البُزُل: جمع بَزول، وهو البعير طلع نابه وذلك في السنة الثامنة أو التاسعة. المعجم الوسيط (بزل). والجِلال جمع جلٍّ (بضم الجيم وبفتحها) وهو ما تُلْبَسه الدابة لتصان به. والكُحيل كزبير: النفط أو القطران تُطْلى به الإبل. القاموس (جلل) و(كحل).

(٥) أخرجه عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم، كما في الدر المنثور ٦/ ٣١٦ ، ولفظه: الغلب: ما غلظ.

(٦) تنظر هذه الأخبار في تفسير الطبري ٢٤/ ١١٧-١١٩ .

﴿وَفَٰكِهَةً﴾ أي: ما تأكلُه الناسُ من ثمار الأشجار، كالتين والخَوخِ وغيرِهما ﴿وَأَبًّا﴾ هو ما تأكلُه البهائم من العُشب؛ قال ابن عباس والحسن: الأبُّ: كلُّ ما أنبتَت الأرضُ، ممَّا لا يأكلُه الناس[١]، وما يأكلُه الآدميون هو الحَصيدة، ومنه قولُ الشاعر في مَدحِ النبيِّ ﷺ:

لـه دَعـوةٌ مَـيـمـونـةٌ رِيـحُـهـا الـصَّـبـا ... بـهـا يُـنبِتُ الـلـه الـحـصِـيدةَ والأبَّـا[٢]

وقيل: إنَّما سمِّي أبًّا؛ لأنَّه يُؤَبُّ، أي: يُؤمُّ ويُنتجَعُ. والأبُّ والأمُّ أخَوان؛ قال:

جِـذمُـنـا قـيـسٌ ونَـجْـدٌ دارُنـا ... ولـنـا الأبُّ بـه والـمـكْـرَعُ[٣]

وقال الضحَّاك: الأبُّ: كلُّ شيءٍ يَنْبتُ على وَجْهِ الأرضُ[٤]. وكذا قال أبو رَزِين: هو النبات. يدلُّ عليه قولُ ابنِ عباس قال: الأبُّ: ما تُنبتُ الأرضُ ممّا يأكلُ الناسُ والأنعام[٥].

وعن ابن عباسٍ أيضاً وابنِ أبي طلحةَ: الأبُّ: الثمارُ الرَّطبة[٦].

وقال الضحاك: هو التِّبنُ خاصةً. وهو مَحْكيٌّ عن ابن عباس أيضاً[٧]؛ قال الشاعر:

فـمـا لَـهُـمُ مَـرْتَـعٌ لِـلـسَّـوَا ... مِ والأبُّ عـنـدَهُـمُ يُـقْـدَرُ[٨]

---

(١) أخرجه عن ابن عباس ابن خزيمة (٢١٧٢) ـ (٢١٧٤)، والطبري ٢٤/ ١٢١ .

(٢) النكت والعيون ٦/ ٢٠٨ ، ونسبه صاحب كتاب الوافي بالوفيات ١١/ ٣٣٢ لحرب بن رَيْطة.

(٣) جمهرة اللغة ١/ ١٣ ، وتهذيب اللغة ١٥/ ٥٩٩ ، والكشاف ٤/ ٢٢٠ ، والكلام منه. قوله: جِذْمنا، الجذْم بالكسر: الأصل، القاموس (جذم). وقال ابن دريد: المكرع: الذي تكرع فيه الماشية، مثل ماء السماء، ، يقال: كرع في الماء: إذا غابت فيه أكارعه.

(٤) النكت والعيون ٦/ ٢٠٨ .

(٥) أخرج قول أبي رزين وقول ابن عباس الطبري ٢٤/ ١٢١ .

(٦) تفسير الطبري ٢٤/ ١٢٣ ، والنكت والعيون ٦/ ٢٠٨ .

(٧) المحرر الوجيز ٥/ ٤٣٩ عن الضحاك، والنكت والعيون ٦/ ٢٠٨ عن ابن عباس، وأخرجه عن الضحاك عبد بن حميد، كما في الدر المنثور ٦/ ٣١٧ . ووقع في النسخ: التين، والمثبت عن المصادر.

(٨) النكت والعيون ٦/ ٢٠٨ ، والسَّوام: الإبل الراعية. القاموس (سوم).

الكلبيُّ: هو كلُّ نباتٍ سوى الفاكهةِ. وقيل: الفاكهةُ: رَطْبُ الثمارِ، والأبُّ يابِسُها[١].

وقال إبراهيمُ التَّيميُّ: سُئل أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ ﷺ عن تفسير الفاكهةِ والأبِّ، فقال: أيُّ سماءٍ تُظِلُّني، وأيُّ أرضٍ تُقِلُّني، إذا قلتُ في كتابِ اللهِ ما لا أعلَم[٢].

وقال أنس: سمعتُ عمر بنَ الخطاب ﷺ قرأ هذه الآية ثم قال: كلُّ هذا قد عَرفناه، فما الأبُّ؟ ثم رفع عصاً كانت بيده وقال: هذا لعَمرُ الله التكلُّفُ، وما عليك يا ابنَ أمِّ عمرَ ألَّا تَدري ما الأبُّ؟ ثم قال: اتَّبِعوا ما تَبيَّن[٣] لكم من هذا الكتابِ، وما لَا فَدَعوه[٤].

ورُوي عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «خُلِقتُم من سَبْعٍ، و رزُقتُم من سبعٍ، فاسْجُدوا لله على سبعٍ». وإنَّما أراد بقوله: «خُلقتُم من سبع» يعني: ﴿مِن نُّطْفَةٍ . ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ . ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ﴾ الآية [الحج: ٥]، والرزقُ من سَبعٍ، وهو قولُه تعالى: ﴿فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا وَعِنَبًا﴾ إلى قوله: ﴿وَفَٰكِهَةً﴾[٥]، ثم قال: «وأبًّا»، وهو يدلُّ على أنه ليس برزقٍ لابنِ آدم، وأنَّه مما تَختصُّ به البهائم. والله أعلم.

﴿مَّتَٰعًا لَّكُمْ﴾ نصب على المصدر المؤكِّد؛ لأنَّ إنباتَ هذه الأشياءِ إمتاعٌ لجميعِ

---

(١) النكت والعيون ٦/ ٢٠٨ .

(٢) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن ص٢٢٧ ، وهو منقطع بين إبراهيم التيمي وأبي بكر رضي الله عنهما. وروي كذلك عن طريق إبراهيم النخعي عن أبي بكر، وهو أيضاً منقطع كما ذكر الحافظ في الفتح ١٣/ ٢٦٥ ، وقال: لكن أحدهما يقوي الآخر.

(٣) في النسخ عدا (ظ): بين، والمثبت من (ظ)، وهو الموافق للكشاف ٤/ ٢٢٠ ، والكلام منه.

(٤) أخرجه ابن سعد ٣/ ٣٢٧ ، وأبو عبيد في فضائل القرآن ص٢٢٧ ، وسعيد بن منصور في سننه (٤٣ ـ تفسير)، والطبري ٢٤/ ١٢٠ و١٢٣ ، ونقله المصنف عن الكشاف ٤/ ٢٢٠ . قال ابن كثير عند تفسير هذه الآية: وهذا محمول على أنه أراد أن يعرف شكله وجنسه وعينه، وإلا فهو وكلُّ مَن قرأ هذه الآية يعلم أنه من نبات الأرض.

(٥) تفسير أبي الليث ٣/ ٤٤٩ ، ولم نقف عليه مسنداً.

الحيوانات. وهذا ضربُ مَثَلٍ؛ ضرَبَه الله تعالى لبَعْثِ الموتى من قبورهم، كنباتِ الزرعِ بعد دُثُوره[١]، كما تقدَّم بيانُه في غيرِ موضعٍ. ويتضمَّنُ امتناناً عليهم بما أنْعَم به وقد مضى في غيرِ موضعٍ أيضاً.

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ﴾ لمَّا ذَكَر أمرَ المعاشِ أمرَ ذكَر المَعادِ، ليتزوَّدوا له بالأعمال الصالحة، وبالإنفاق ممَّا امتَنَّ به عليهم. والصَّاخَّةُ: الصيحةُ التي تكون عنها القيامةُ، وهي النفخةُ الثانية، تَصُخُّ الأسماعَ: أي: تُصِمُّها فلا تَسْمَعُ إلَّا ما يُدعَى به للإحياء.

وذكر ناسٌ من المفسرين قالوا: تُصِيخُ لها الأسماعُ، مِن قولك: أصاخَ إلى كذا، أي: اسْتَمَعَ إليه، ومنه الحديثُ: «ما من دابَّةٍ إلَّا وهي مُصيخةٌ يومَ الجمعةِ شَفَقًا من الساعةِ، إلَّا الجنَّ والإنس»[٢]. وقال الشاعر:

يُصِيخُ للنَّبْأةِ أسماعَهُ ... إصاخةَ الناشِدِ للمُنشِدِ[٣]

قال بعضُ العلماءِ: وهذا يؤخَذُ على جهةِ التسليم للقُدَماء، فأمَّا اللغةُ فمقتضاها القولُ الأولُ؛ قال الخليل: الصاخَّة: صيحةٌ تَصُخُّ الآذانَ صَخًّا، أي: تُصِمُّها بشدةِ

---

(١) النكت والعيون ٦/٢٠٨.

(٢) قطعة من حديث طويل أخرجه مالك في الموطأ ١/١٠٨، وأحمد (١٠٣٠٣)، وأبو داود (١٠٤٦)، والنسائي في المجتبى ٣/١١٣-١١٥ عن أبي هريرة ﷺ. ووقع عند أحمد وأبي داود: مُسيخة، بدل: مصيخة. قال الخطابي في معالم السنن ١/٢٤٢: يقال: أصاخ وأساخ، بمعنى واحد.

(٣) النكت والعيون ٦/٢٠٩، ووقع في (م): إصاخة المنشد للمنشد. والنَّبْأة: الصوت الخفي. القاموس (نبأ).

وَقعَتها[١]. وأصلُ الكلمةِ في اللغة: الصَّكُّ الشديد. وقيل: هي مأخوذةٌ من صخَّه بالحجر: إذا صَكَّه، قال الراجز:

يا جارتي هل لكِ أنْ تجالدي جلادةً كالصَّكِّ بالجَلامِدِ[٢]

ومن هذا البابِ قولُ العربِ: صَخَّتْهم الصاخَّةُ وباقَتْهم البائقة[٣]، وهي الداهية. الطبريُّ: وأحسبُه من صَخَّ فلانٌ فلاناً: إذا أصْماه[٤].

قال ابن العربيِّ: الصاخَّة التي تُورِثُ الصمَمَ، وإنَّها لمُسمِعةٌ، وهذا من بديع الفصاحة، حتى لقد قال بعضُ حَديثي الأسنان حديثي الأزمان:

أصَمَّ بِكَ الناعي وإنْ كان أسمَعا[٥]

وقال آخر:

أصَمَّني سِرُّهم أيامَ فُرقتهم فهل سمِعتُم بسِرٍّ يُورِثُ الصَّمَما[٦]

لعَمْرُ الله إنَّ صيحةَ القيامةِ لمسمِعةٌ تُصِمُّ عن الدنيا، وتُسمِعُ أمورَ الآخرة.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾ أي: يهربُ، أي: تَجيءُ الصاخَّة في هذا اليومِ الذي يهربُ فيه من أخيه، أي: من مُوَالاةِ أخيه ومُكالمَتِهِ؛ لأنه لا يتفرَّغُ لذلك لاشتغاله بنفسه، كما قال بعده: ﴿لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ أي: يَشْغَلُه عن غيره.

وقيل: إنَّما يفرُّ حذراً من مطالبتهم إياه بمَا[٧] بينهم من التَّبِعات. وقيل: لئلَّا يَرَوْا

---

(١) العين ٤/ ١٣٥ ، ووقع في (ظ): بشدة وقعها.

(٢) لم نقف عليه. قوله: بالجلامد، جمع جَلْمد، وهو الصخر. والصك: الضرب الشديد بالشيء العريض. اللسان (جلمد) و(صك).

(٣) في النسخ عدا (ظ): وباتتهم البائتة، والمثبت من (ظ). وفي البحر ٨/ ٤٢٩ : ونابتهم النائبة.

(٤) كذا ذكر المصنف، والذي في تفسير الطبري ٢٤/ ١٢٤ : وأحسبها مأخوذة من قولهم: صاخ فلان لصوت فلان: إذا استمع له.

(٥) البيت لأبي تمام، وهو في ديوانه بشرح التبريزي ٤/ ٩٩ ، وعجزه: وأصبح مَغْنَى الجودِ بعدكَ بَلقَعا.

(٦) البيت لأبي تمام، وهو في ديوانه بشرح التبريزي ٣/ ١٦٦ برواية... هل كنت تعرف سرًّا يورث الصمما.

(٧) في (د) و (م): لما.

ما هو فيه من الشدَّة. وقيل: لعِلْمِه أنَّهم لا ينفعونه ولا يُغْنونَ عنه شيئاً، كما قال: ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا﴾ [الدخان: ٤١].

وقال عبد الله بنُ طاهِرٍ الأبهَريُّ: يَفِرُّ منهم لِمَا تبيَّنَ له من عَجزِهم وقلَّةِ حيلتهم، إلى مَن يملكُ كَشفَ تلك الكُروبِ والهمومِ عنه، ولو ظَهَر له ذلك في الدنيا لَمَا اعتَمَدَ شيئاً سوى ربِّه تعالى.

﴿وَصَٰحِبَتِهِۦ﴾ أي: زوجته. ﴿وَبَنِيهِ﴾ أي: أولاده.

وذكر الضحَّاك عن ابن عباس قال: يفرُّ قابيلُ من أخيه هابيلَ، ويفرُّ النبيُّ ﷺ من أمِّه، وإبراهيمُ عليه السلام من أبيه، ونوحٌ عليه السلام من ابنه، ولوطٌ من امرأته، وآدمُ من سَوأةِ بنيه[1].

وقال الحسن: أولُ مَن يفرُّ يومَ القيامةِ من أبيه: إبراهيمُ، وأولُ مَن يفرُّ من ابنه نوحٌ، ،أولُ مَن يفرُّ من امرأته لوطٌ. قال: فيرَوْنَ أنَّ هذه الآيةَ نزلت فيهم[2] وهذا فرارُ التبرُّؤ.

﴿لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾. في «صحيح» مسلم عن عائشةَ رضي الله عنها قالت: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «يُحشَرُ الناسُ يومَ القيامةِ حُفاةً عُراةً غُرلاً» قلتُ: يا رسولَ الله! الرجالُ والنساءُ جميعاً ينظُر بعضُهم إلى بعضٍ؟ قال: «يا عائشة، الأمر أشدُّ مِن أن ينظرَ بعضُهم إلى بعضٍ»[3].

خرَّجه التِّرمذيُّ عن ابن عباس: أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «تُحشَرون حُفاةً عُراةً غُرْلاً» فقالت امرأةٌ: أيَنْظُرُ بعضُنا ـ أو يرى بعضُنا ـ عورة بعض؟ قال: «يا فلانة، لكلِّ امرئ

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية ٢/ ٣٤١ عن قتادة دون قوله: وآدم من سوأة بنيه. ولم نقف عليه عن ابن عباس.

(٢) أخرجه ابن عساكر ٦٤/ ٨ .

(٣) صحيح مسلم (٢٨٥٩)، وسلف ١٣/ ٢٩٧ . قوله: غرلاً، الغُرْل جمع الأَغْرل، وهو الأقلف. النهاية (غرل).

مِنهم يومئذٍ شأنٌ يُغنِيهِ». قال: حديثٌ حسنٌ صحيح[١].

وقراءةُ العامَّة بالغَيْنِ المعجَمة، أي: حالٌ يشغَله عن الأقرباء. وقرأ ابنُ مُحيصنٍ وحُميدٌ: «يَعنِيهِ» بفتح الياءِ، وعين غير معجَمة[٢]، أي: يَعْنيه أمره.

وقال القُتَبيُّ: يُغْنيه[٣]: يَصْرِفُه ويصُدُّه عن قرابته، ومنه يقال: أغنِ عنِّي وجهك، أي: اصرِفْه، وأغنِ عنِّي السَّفيه[٤]؛ قال خُفاف:

سَيُغْنِيكَ[٥] حربُ بني مالكٍ عن الفُحْشِ والجهلِ في المحْفلِ

قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ﴾: أي: مُشرقةٌ مضيئة، قد عَلمتْ مالَها من الفوز والنعيم، وهي وجوهُ المؤمنين. ﴿ضَاحِكَةٌ﴾ أي: مسرورة فَرِحة ﴿مُّسْتَبْشِرَةٌ﴾ أي: بما آتاها الله من الكرامة.

وقال عطاءٌ الخُراسانيُّ: «مُسْفِرة» من طولِ ما اغبرَّتْ في سبيل الله جلَّ ثناؤه. ذكَره أبو نعيم[٦].

الضحَّاك: مِن آثارِ الوضوء. ابنُ عباس: من قيام الليلِ؛ لمَا رُوي في الحديث: «مَن كَثُرتْ صلاتُه بالليل حَسُنَ وجهُه بالنهار»[٧] يقال: أسْفَر الصُّبحُ: إذا أضاء.

---

(١) سنن الترمذي (٣٣٣٢).

(٢) المحتسب ٢/ ٣٥٣ عن ابن محيصن.

(٣) في (د) و(م) و(ي): يعنيه، والمثبت من (ظ)، وانظر التعليق الذي بعده.

(٤) في (ظ) و(م) و(ي): اعن عني وجهك ... واعن عن السفيه، وكذلك وقع في مطبوع تفسير الغريب لابن قتيبة ص٥١٥ ، والمثبت من (د)، وهو موافق لما نقله ابن الجوزي في زاد المسير ٩/ ٣٥ عن ابن قتيبة، وينظر تفسير الرازي ٣١/ ٦٤ ، واللباب ٢٠/ ١٧١ ، وفتح القدير ٥/ ٣٨٥ ، وتهذيب اللغة ٨/ ٢٠٢ .

(٥) في (م) و(ي): سيعنيك، ولم تجود في (ظ)، والمثبت من (د) وتفسير الرازي ٣١/ ٦٤ ، والبيت فيه دون نسبة.

(٦) في الحلية ٥/ ٢٠٠ .

(٧) أخرجه ابن ماجه (١٣٣٣)، وابن الجوزي في الموضوعات (٧٩١-٧٩٦) عن جابر ﷺ وأخرجه ابن الجوزي أيضاً (٧٩٧) عن أنس ﷺ، وقال: هذا حديث لا يصح عن رسول الله ﷺ، وسلف ١٦/ ٢٩٣ . والكلام من الكشاف ٤/ ٢٢٠ .

﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ﴾ أي: غبارٌ ودُخانٌ ﴿تَرْهَقُهَا﴾ أي: تَغشاها ﴿قَتَرَةٌ﴾ أي: كسوفٌ وسواد. كذا قال ابن عباس[١]. وعنه أيضاً: ذِلَّةٌ وشِدَّة[٢]. والقتَر في كلام العرب: الغبار، جمع القَتَرة، عن أبي عُبيدة[٣]؛ وأنشد الفرزدقُ:

مُتَوَّجٌ بِرداءِ المُلْكِ يَتْبعُه ... مَوجٌ ترى فوقَه الراياتِ والقَتَرا[٤]

وفي الخبر: إنَّ البهائم إذا صارت تراباً يومَ القيامة، حُوِّلَ ذلك الترابُ في وجوه الكفار[٥].

وقال زيد بن أسلم: القَتَرةُ: ما ارتفعتْ إلى السماء، والغَبَرة: ما انحطَّتْ إلى الأرض، والغبارُ والغَبَرَةُ واحدٌ[٦].

﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ﴾ جمعُ كافرٍ ﴿الْفَجَرَةُ﴾ جمعُ فاجِرٍ، وهو الكاذبُ المفتري على الله تعالى. وقيل: الفاسق؛ فَجَر فُجوراً، أي: فَسَق. وفَجَر، أي: كذب. وأصلُه: الميل، والفاجِرُ: المائل. وقد مضى بيانُه والكلامُ فيه[٧]. والحمد لله وحده.

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم، كما في الدر المنثور ٥/ ٣٠٧، ولفظه: «قترة»، قال: سواد الوجوه.

(٢) أخرجه الطبري ٢٤/ ١٢٧، دون قوله: وشدة.

(٣) في (د) و(م): عبيد، والمثبت من باقي النسخ، وهو الموافق لما في الصحاح (قتر)، والكلام منه، وكذا في اللسان (قتر).

(٤) الصحاح (قتر)، والبيت في ديوان الفرزدق ١/ ٢٣٤، برواية: مُعْتَصِبٌ برداء الملك...

(٥) ذكره الطبري ٢٤/ ١٢٧.

(٦) أخرجه الطبري ٢٤/ ١٢٧ عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم.

(٧) ٢١/ ٤٠٩.